تعلّق الكلمات
بجذورها اللغويّة

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. رأينا أنَّ القرآن الكريم بحروفه هو قول الله تعالى ، قولاً قديماً ، فوق الحدوث .. وأنَّ المفردات القرآنيّة هي مفردات فطريّة علّمها الله تعالى لآدم عليه السلام قبل حلول نفسه في جسده ، وحافظت على هذه المفردات أمّةٌ أميّة حتى نزول القرآن الكريم مُصاغاً من هذه المفردات ..

وقد بيَّنتُ في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) ، وفي كتاب المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ، أنَّ الحرفَ القرآنيَّ هو اللبنة الأولى للمعنى ، وذلك بإعطاء كلِّ حرف قيمة عدديّة تتعلّقُ بترتيب مجموع وروده في القرآن الكريم ، وتبيّن أنَّ العبارات القرآنيّة المتوازنة بالمعنى والدلالات ، قيمها العدديّة متساوية ، وأنَّ العبارات القرآنيّة المتكاملة في إطار مسألة واحدة ، قيمها العدديّة من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) دون زيادة أو نقصان ، وذلك تعلّقاً بقوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثّر : ٣٠] .. وذلك عبر عرض آلاف الأمثلة التي تؤكّد هذه الحقيقة ..

.. إذاً .. البناء الرقمي للنصِّ القرآني يتعلّق ببناء المعنى والدلالات الذي يحمله هذا النص ، ولمّا كان الحرف هو اللبنة الأولى في هذا البناء ، فإنَّه اللبنة الأولى في بناء المعنى والدلالات .. وبإمكاننا أن نرى هذه الحقيقة من منظارٍ آخر هو ورود الحروف النورانيّة

(فواتح السوَر) في بداية بعض السوَر القرآنيّة ، وهي تُقرأ حروفاً مُقطّعة ، وقد أتى بعضها بآياتٍ مستقلّة ، وبالتأكيد تحملُ معاني ودلالات ..

إذاً .. الحرف النوراني ، أتى مستقلاً بذاته ، ليحمل المعنى المستقل الذي يحمله .. فعلى سبيل المثال حينما يقول تعالى : ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ [ق : ١] ، فإنَّ الحرف النوراني ﴿ قٓۚ ﴾ يحمل ذات المعنى الذي يحمله حرف القاف في كلمة ﴿ وَٱلۡقُرۡءَان ﴾ ، ولكنّه في كلمة ﴿ وَٱلۡقُرۡءَان ﴾ يدخل مع باقي حروف هذه الكلمة في بناء المعنى والدلالات المحمول بهذه الكلمة .. وكذلك الأمر في قولِه تعالى : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] ، فإنَّ الحرف النوراني ﴿ نٓۚ ﴾ يحمل ذات المعنى الذي يحمله حرف النون في كلمة ﴿ يَسۡطُرُونَ ﴾ ، ولكنّه في كلمة ﴿ يَسۡطُرُونَ ﴾ يدخل مع باقي حروف هذه الكلمة في بناء المعنى والدلالات المحمول بهذه الكلمة ..

إذاً .. الحرف القرآنيُّ ليس مجرّدَ لبنة نطقٍ في بناء الكلمات القرآنيّة ، والكلمة القرآنيّة ليست إفراغاً للمعنى الذي يريده الله تعالى في قالبٍ لغويٍّ من صنع البشر .. إنَّ من يتخيّل ذلك ، إنّما يفرض – سلفاً – أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى فقط ، وليس قولَ الله تعالى ..... الكلمة القرآنيّة تصفُ المُسمَّى بها وصفاً مُطلقاً يتعلّقُ بعلم الله تعالى المطلق ، وبقدرته المطلقة على صياغة ما علمه الله تعالى ، لذلك فالكلمة القرآنيّة التي تصف المُسمَّى ، تُعطي كلَّ جيلٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ما يُناسب علمه وحضارته عن حقيقة المُسمَّى بهذه الكلمة ..

والصلةُ ما بين المعنى المحمول بالكلمة القرآنيّة وبين الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه ، هي صلةٌ مطلقة ، فجميع الكلمات القرآنيّة المتفرّعة عن جذر لغوي واحد ، تدور معانيها في إطار المعنى الذي يحمله هذا الجذر اللغوي .. وهذا أمرٌ طبيعي ، كون الحرف القرآني هو اللبنة الأولى للمعنى ، وكون المفردات القرآنيّة فطريّة موحاة من الله تعالى ، وليست

وضعية اصطلاحيّة من صنع البشر ، وكون ما يتعلّق بالله تعالى لا يحمل شيئاً من المصادفة والعبثيّة وعدم المنهجيّة ..

إنَّ حروفاً قالها الله تعالى لا تكون إلاَّ مطلقة .. وإنَّ كلماتٍ فطريّةً من عند الله تعالى لا تكون إلاَّ مطلقة ، وتتعلّقُ تعلّقاً كاملاً بحروفها المكوِّنة لها ، وبالجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه .. وقد بيّنت في النظريّة الأولى (المعجزة) كيف أنَّ رسمَ القرآن الكريم أكبر وأشمل وأوسع من قواعد الكتابة التي نتداولها ، وأنَّ الاختلاف في رسم الكلمة ذاتها هو لحكمة إلهيّة مرادة ، وأنَّ تغيّر الحروف المرسومة ما بين كلمة وكلمة ينتجُ عنه تغيّرٌ في المعنى والدلالات .. وكذلك الأمر في صياغة الجمل القرآنيّة ، فصياغة هذه الجمل هي فوق قواعد اللغة العربيّة التي استخلصها العلماء حتّى من القرآن الكريم ذاته ، فهم لم ولن يستطيعوا الإحاطة التامّة بقواعد النحو المحمولة بالقرآن الكريم .. وكذلك الأمر فإنَّ الميزان الصرفي الذي استنبطه العلماء حتى من القرآن الكريم ، لا يُحيط إحاطة تامّة بجميع الكلمات القرآنيّة ، فلو تمّت الإحاطة بأيِّ جانبٍ من جوانب صياغة النصّ القرآني ، لتمّت الإحاطة بصفةٍ من صفات الله تعالى ..

يُوجَدُ للجذر اللغويّ في القرآن الكريم معنىً عند الله تعالى ، نستطيع الوقوفَ على جزءٍ منه حسب درجة تدبّرنا لكتاب الله تعالى ، وهذا المعنى هو وصفٌ مطلق لحقيقة المسائل المحمولة بالكلمات المتفرّعة عن هذا الجذر اللغوي .. وإنَّ عدمَ إدراكنا نحن المخلوقات – أحياناً – للرابط بين المسألة التي يصفها الجذر اللغوي ، وبين المسائل التي تصفها مشتقّاته اللغويّة ، ناتجٌ عن عدم إدراكنا لماهيّة المسائل الموصوفة بالكلمات المتفرّعة عن هذا الجذر اللغوي .. فنحن موجودون في عالمٍ مخلوق له ماهيّته الخاصّة به ، ونتفاعل مع المسائل التي تصفها الكلمات القرآنيّة وفق قوانين هذا العالم المخلوق ، بينما تحملُ الكلمات القرآنيّة وصفاً للمسائل يرتبط بصفات الله تعالى المطلقة ، المُحيطة إحاطة مُطلقة بماهيّة المسائل الموصوفة بالكلمات القرآنيّة ..

وهذا لا يعني أن نذهب بعيداً في تأويل مشتقّات الجذر اللغوي تأويلاً نخرج به عن الحقّ والصواب .. إنَّ ما نعنيه هو الاستفادة – أثناء بحثنا – من باقي مشتقّات الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه الكلمة التي هي قيد البحث ، من أجل الوصول إلى إدراك حقائق يقرّها القرآن الكريم ..

وهكذا فإنَّ ارتباط الكلمة القرآنيّة معنىً بجذرها اللغوي هو ارتباط الفرع بالأصل ، ولإدراك الحقيقة النهائيّة المحيطة بذلك إدراكاً تامّاً لا بدّ من علمٍ مطلق بماهيّة وجود المسائل ، ولا بدَّ من صفاتٍ مطلقة تحيط بالقول الذي يصف هذه المسائل ، وهذا لا يكون إلاّ لله تعالى .. فالله تعالى العالم علماً مطلقاً بماهيّة المسائل التي هي آثار صفاته العظيمة في هذا العالم ، هو ذاته قائل القرآن الكريم ، وبالتالي هو وفقط هو من يستطيع الوقوف على نهاية المعاني والدلالات المحمولة بالنصوص القرآنيّة ..

وكلّما تقدّم علمنا كلّما ارتقينا في إدراك الرابط الذي يربط المسميّات القرآنيّة للأمور والأشياء بماهيّة هذه الأمور والأشياء ، وبروح المعنى للجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه هذه المسميّات القرآنيّة ..

وسنتعرّض لبعض الأمثلة القرآنيّة ، لنلقي الضوء على هذه الحقيقة ، ولنرى كيف أنَّ الكلمة القرآنيّة لا تخرج عن روح المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي ، وأنَّ جميع مشتقّات الجذر الواحد تدور ضمن إطار المعنى الذي يحمله هذا الجذر ، ولنرى – أيضاً – كيف أنّه لا ينوب جذرٌ لغويٌّ مكان جذرٍ آخر ، فلا تُوجَد كلمة قرآنيّة مرادفة لكلمة أُخرى تنتمي لجذر آخر ، بالمعنى الذي يتخيّله بعض البشر ..

.. في كتاب الله تعالى ورد للجذر (ن ، س ، أ) فرعان هما : ﴿ ٱلنَّسِيٓء ﴾ ، ﴿ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ :

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٣٧]

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤]

نحن نعلم أنَّ دلالات هذا الجذر تعني التأخير ، فنقول نسأ الشيء بمعنى أخَّره ، وينسأ يُؤخِّر ، وأنسأت عنه تأخَّرت وتباعدت ، وهذا المعنى نراه واضحاً في الصورة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ .. وفق هذا المعنى الذي يرسمه لنا الجذر (ن ، س ، أ) ، ما علاقةُ كلمة ﴿ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ المُشتقّة منذ هذا الجذر اللغوي ، وهي التي تأتي وصفاً لعصا سليمان عليه السلام ؟ ..

نحن نعلم أنَّ عصا سليمان عليه السلام أخَّرت من علم الجن بموته .. فالجنّ لم يعلموا بموت سليمان عليه السلام إلاّ عندما خرَّ نتيجةَ أكل دابّة الأرض لمنسأته (عصاه) .. فهذه العصا التي نسأت (أخَّرت) علم الجن بموته ، هي السبب في مسألة التأخير هذه .. وبالتالي فهي منسأته ..

ووصف الله تعالى لهذه العصا بهذه الصفة ، هو وصفٌ مُطلقٌ لحقيقة المسألة المحمولة في السياق السابق واللاحق لهذه الكلمة ﴿ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ ، فالعصا كلمة قرآنيّة ترد في كتاب الله تعالى ، ولكنَّ السياق القرآني في العبارات التي نحن بصدد دراستها يُلقي الضوء على مسألة تأخير علم الجنّ بموت سليمان عليه السلام ، ووفق هذا المنظار نرى أنَّ كلمة ﴿ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ كمشتق من الجذر (ن ، س ، أ) تأتي وصفاً مطلقاً لحقيقة الموصوف ..

إذاً .. ارتباط الكلمة القرآنيّة بجذرها اللغوي هو ارتباطٌ مطلق ، والكلمة القرآنيّة تحمل معنىً لا يخرج عن إطار معنى جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

❁ ❁ ❁

للجذر (ب ، ع ، ل) في القرآن الكريم سبعة فروع ، ستّة منها تصف لنا الرجال أزواج النساء .. وفرع واحد يصف لنا صنماً يدعونه الكفّار ..

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٣ – ١٢٥]

فما علاقة الفرع ﴿ بَعْلًا ﴾ بالمعنى الذي يحمله جذره اللغوي وبباقي الفروع التي تفرّعت عن هذا الجذر اللغوي ؟!!! ..

بمقارنة مشتقّات الجذر (ب ، ع ، ل) التي تأتي وصفاً للرجال أزواج النساء ، مع مشتقّات الجذر (ز ، و ، ج) ، نرى أنّهما يتمايزان عن بعضهما في مسألتين :

١ – البعل هو صفة للرجل زوج المرأة ، ولا يكون العكس ، أي ليست المرأة بعلاً للرجل .. بينما في الزوجيّة نرى أنّ الرجل زوجٌ للمرأة وأنّ المرأة زوجٌ للرجل ..

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

٢ – مشتقّات الجذر (ب ، ع ، ل) ترتبط بالبشر فقط ، بينما مشتقّات الجذر (ز ، و ، ج) ترتبط بالبشر وبغير البشر ..

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان : ١٠]

وَلَمَّا كان الرجال قوّامون على النساء : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] ، ولمّا كانت صفة البعل هي للرجال دون النساء ، نستنبط أنّ دلالات الجذر (ب ، ع ، ل) ، تُلقي الضوء

على صفة القوّامة والانقياد والاتّباع .. وهذه الصفة هي ذاتُها التي يضع بها عابدو الأصنام أصنامَهم ، فهم يجعلون أصنامهم قوّامةً عليهم ويجعلون من أنفسهم منقادين وتابعين لها .. وهذا هو ما تحمله الآية الكريمة : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ، بمعنى أتجعلون أصناماً قوّامةً عليكم تنقادون لها وتتبعونها ، كما تنقاد المرأة لزوجها وتتّبعه .. وهذا وصفٌ مطلقٌ لا تنوب فيه أيُّ كلمة من أيِّ جذرٍ آخر عن كلمة ﴿ بَعْلًا ﴾ من الجذر (ب ، ع ، ل) ..

وهكذا نرى أنَّ كلمة ﴿ بَعْلًا ﴾ لم تخرج دلالاتها عن دلالات جذرها اللغوي ، وأنّها وصفٌ مطلق لا يكون إلاَّ بها كفرع من فروع جذرها اللغوي ..

❁ ❁ ❁

لو نظرنا في مشتقّات الجذر اللغوي (س ، ح ، ر) في القرآن لرأينا أنَّ الكلمات المتفرّعة عنه تنقسم – بالنسبة لإدراكنا الظاهري – إلى قسمين :

- قسم يتعلّق بالسِّحر ، ويعني تغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..
- قسم يتعلّق بالسَّحَر .. ومشتقّاته – في كتاب الله تعالى – هي :

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧]

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨]

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر : ٣٤]

فما هو مشترك الدلالة بين هذين الفرعين من الجذر (س ، ح ، ر) ؟ ..

السِّحر هو تغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦]

فالحبال والعِصيّ ، هي في حقيقتها لم تكن تسعى ، ولكنّ موسى عليه السلام خُيّل إليه – نتيجةَ سحرِهم – أنّها تسعى ..

إذاً .. السّاحر هو من يقوم بتغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص : ٤]

وكلمة ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ في قولِه تعالى :

﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ۝٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾ [القمر : ٣٣ – ٣٥]

هذه الكلمة ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ هي ضمن سياقٍ قرآنيٍّ يُصَوِّرُ لنا آليّةَ نجاةَ آل لوط وأهله ، ونراها تستثني امرأة لوطٍ عليه السلام ، فالحديثُ في سياقِ تلك الآيات هو عن آليّة النجاة التي نجّى اللهُ تعالى – بواسطتها – من نجّاهم من قومِ لوط ..

وممّا يُؤكّد صحّةَ ما نذهب إليه ، هو حرف الباء (باء الواسطة والوسيلة) في كلمة ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ ، وكذلك ورود هذه الكلمة بصيغة النكرة .. فالنجاة كانت بواسطة سَحَر ، وليست مُجرّد نجاة تمّت خلال السَّحَر ..

فما نراه في هذا النصِّ القرآني هو عن آليّة النجاة وواسطتها ، ولذلك لم يتمّ – في هذا النصّ القرآني – استثناء امرأة لوط عليه السلام ، كما هو الحال في النصوص القرآنيّة الأخرى ، التي تصوّر لنا الناجين ، والتي تُستثنى فيها امرأة لوط عليه السلام ..

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ [الحجر : ٥٨ – ٦٠]

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل : ٥٦ – ٥٧]

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٢ – ٨٣]

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٠ – ١٧٣]

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٢ – ٣٣]

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٣ – ١٣٦]

هذه النصوص القرآنيّة تتحدّثُ عن النجاةِ ذاتِها ، لذلك نرى استثناءَ امرأةِ لوطٍ فيها ، فامرأةُ لوطٍ مستثناة من آل لوطٍ وأهله في مسألةِ النجاة .. ولا تتحدّث هذه النصوص عن واسطةِ النجاةِ وكيفيّتِها ، كما هو الحال في الصورة القرآنيّة التي نحن بصدد دراستها ..

وكيفيّةُ النجاة – التي تمّت – تكون بعدم الالتفات إلى ما يحلُّ بقوم لوطٍ حين نزول العذاب فيهم ..

﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١]

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر : ٦٥ – ٦٦]

فآليّة النجاة – كما نرى – هي عدم الالتفات إلى العذاب الذي يحلّ في قوم لوط .. والذي سيلتفت ، وبالتالي لا يستفيدُ من واسطةِ النجاة ، هو امرأةُ لوط عليه السلام .. فالتفاتُها يُخرجُها من ساحة الاستفادة من واسطةِ النجاة ..

ولذلك في النصِّ القرآنيّ ، قيد الدراسة ..

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ [القمر : ٣٣ – ٣٥]

نرى عدمَ استثناء امرأة لوط ، وهذا يُؤكِّدُ صحّةَ ما ذهبنا إليه من أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ تصفُ كيفيّةَ النجاة وواسطتها ، حيث لم تستفد امرأةُ لوطٍ من هذه الواسطة والكيفيّة ، ولا تصفُ هذه العبارةُ القرآنيّةُ مسألةَ النجاةِ ذاتها .. إذاً .. النجـــاةُ كانت بواسطةِ تغيير الواقع المحيط بآلِ لوط واستثنائه من واقعِ الحاصِبِ الذي أُرسِلَ على قومِ لوط ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ .. وهذا عين ما تصفه العبارة القرآنيّة ﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ ..

وكما أنَّ السِّحْرَ يغيِّرُ الواقعَ في أعينِ المسحورين ، ومن لا يلتفت إلى هذا السحر ويستطيعُ حجبَ رؤيتِه عنه لا يتأثَّرُ به ، كذلك فإنّ واقعَ التغيير الذي هو الاستثناءُ من الحاصبِ الذي أُرسلَ على قومِ لوطٍ لا يكونُ إلاَّ بعدمِ الالتفات إلى هذا الحاصب ..... لذلك نرى أنَّ امرأة لوطٍ أصابها ما أصابَ قوم لوط ، لأنَّها التفتت ونظرت إلى هذا الحاصب ، وبالتالي لمْ تستفدْ من أداة النجاة التي هي حجبُ الواقعِ الحاصل في قوم لوطٍ حين إرسال الحاصب عليهم ..

.. إذاً كلمةُ (سَحَر) تعني : حجبَ الواقع المحيط وعدمَ الالتفات إليه .. ونحن بإظهار هذه الدلالات لكلمة (سَحَر) ، لا نُنكرُ ساحة الزمان التي تمّت فيها تلك النجاة .. أبداً .. فهناك عبارات قرآنيّة تُبيّن أن موعدهم الصبح ، وأنّ لوطاً عليه السلام أُمِرَ بأن يسري بأهلِه بقِطْعٍ من الليل ..

﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١]

فما نُريد أن نُبيّنه هو عُمق الدلالات التي تحملُها هذه الكلمة ، وعمق ارتباطها بالدلالات النابعة من الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

.. وكلمة (الأسحار) في النصّين القرآنيّين ..

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧]

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨]

هذه الكلمة ترد بالصيغة : ﴿ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ ، ﴿ وَبِٱلْأَسْحَار ﴾ ، وهذه الصيغة هي جمع كلمة (سَحَر) ، ومجرورة بباء الواسطة والوسيلة وليس بحرف الجر (في) ، أي بواسطةِ

(الْأَسْحَارِ) يتمُّ استغفارهم لله تعالى .. ولم ترد بالصيغة (في السَّحَر) .. وهذا يدفعنا إلى إدراكِ دلالاتها بعمقٍ أبعد من مُجرّدِ حصرها في وصف فترة زمنيّة محدَّدة معروفة من الليل تتكرّرُ كلَّ يوم ..

إذاً .. معنى كلمة [﴿ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ ، ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ ﴾] في هاتين الآيتين الكريمتين هو : بطرقِ التغيير وعدم الالتفات إلى الذنوب والخطايا التي يطلبون من الله تعالى غفرانها ..... فطلبهم المغفرة من اللهِ تعالى يكونُ من خلالِ جهدِهِم وعزمِهِم في ترك وحجب ما يطلبون من الله تعالى غفرانه ، وفي عدم الالتفات إليه ..... أي بالتغيير والإعراض عن الخطايا ، وعدم الالتفات إليها ، يطلبون المغفرةَ من الله تعالى عن هذه الخطايا ، كما أنَّ آلَ لوطٍ نجّاهم الله تعالى من الواقع الذي نزلَ بقومِهم من خلالِ عدمِ الالتفات إلى ذلك الواقع ..

إذاً .. جميع مشتقّات الجذر اللغوي (س ، ح ، ر) تشترك بمعنىً مجرّدٍ لا يخرجُ في إطاره العام عن إطار المعنى والدلالات التي يحملُها هذا الجذر اللغوي ..

❁ ❁ ❁

دلالاتُ الجذر اللغوي (ن ، ح ، س) تدورُ معانيها في إطارِ خِلافِ السَّعد وعدم التوفيق والتفاعل والاستجابة مع مُرادِ غيرِ الذات على حسابِ مُراد الذات ..

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر : ١٩]

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت : ١٦]

ودلالاتُ كلمة النحاس في قولِه تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] ، كمشتق من الجذر (ن ، ح ، س) ، لا تخرج عن هذا الإطار من المعنى .. فالشُّوَاظُ التي تُرسَلُ هي من النارِ ﴿ شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ ، وهذا يشمل

كلَّ ما هو مادّي ، وتُرسَلُ أيضاً مسألةٌ أخرى لا علاقة لها بالمادّة ، هي عدمُ التوفيق والهدايةِ إلى تحقيق المُراد ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ ، فالإرسالُ يشملُ الجانبين :

١ – المادّي ﴿ شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ .. وهذا يشمل كلّ مادّة لها علاقة بالنار ، سواءٌ كان ذلك المعدن المُصطلح عليه وضعيّاً بالنحاس أم غيره ..

٢ – المعنوي ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ .. وهذا يشمل عدم حصول توفيق الله تعالى وهدايته مع من تصفه هذه الآية الكريمة ..

إذاً .. المعدن المُصطلح عليه بكلمة النحاس في لغتنا الوضعيّة الاصطلاحيّة ، لا علاقة له بكلمة ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ في هذه الآية الكريمة .. فما تعنيه هذه الكلمة هو وجه عدم التوفيق والهدايةِ إلى تحقيق المُراد وهو الوجه المعنوي المكمّل للوجه المادّي ﴿ شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ ..

،، وهكذا فجميع مشتقّات هذا الجذر اللغوي تدور في إطارٍ واحدٍ من المعنى ، هو الإطار الذي يرسمه هذا الجذر اللغوي ..

❁ ❁ ❁

دلالاتُ الجذر اللغوي (ج ، م ، ل) تدور معانيها في إطار عظمةِ الاكتمالِ وحسنِه وعدم التجزّؤ .. وهذا ما نراه واضحاً جليّاً في كلمة : ﴿ جُمْلَةً ﴾ في قولِه تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢]

فما طلبَهُ الذين كفروا هو تنزيلُ القرآن الكريم دفعةً واحدةً مكتملةً دون مرحليّة واجتزاء ..

والجَمالُ : هُوَ ظهورُ عظمةِ الاكتمالِ وحسنِها في الماهيّة ، دون تجزّؤ وتفرّقٍ وتشتّت في هذه الماهيّة ..

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل : ٦]

والجميل : هُوَ المُكتملُ في حُسنه وعظمته وماهيّته ..

﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر : ٨٥]

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل : ١٠]

.. ولذلك في قولِه تعالى :

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٢ – ٣٣]

.. نرى أنَّ كلمةَ ﴿ جِمَٰلَتٌ ﴾ تُصوِّرُ لنا بياناً لكتلةٍ عظيمةٍ كاملةٍ غيرِ مُجْتَزَأَة .....

وهذا ما نتبيّنه من كلمة ﴿ ٱلْجَمَل ﴾ في قولِه تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٠]

فالشرطُ الإعجازيُّ في ولوجِ الجَمَل في سَمِّ الخِياط ، هُوَ ولوجه في ذلك السَّمِ كتلةً واحدةً محافظةً على عظمتِها واكتمالِها دون اجتزاء ..

وهكذا نرى أنَّ جميعَ مشتقّات الجذر اللغوي (ج ، م ، ل) في كتاب الله تعالى ، تدورُ معانيها في إطار عظمةِ الاكتمال وحسنه وعدم تجزُّئه ..

❁ ❁ ❁

دلالاتُ مشتقّات الجذر اللغوي (ج ، د ، د) في القرآن الكريم ، تدور داخل معنى الحادث اللاحق والطارئ .. فكلمةُ جديد في كتاب الله تعالى تُجسِّدُ هذا المعنى المُجرّد بشكلٍ واضحٍ جلي ..

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٩]

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [السجدة : ١٠]

وكلمةُ ﴿ جَدُّ ﴾ في كتاب الله تعالى ، لا تخرجُ دلالاتُها المُجَرَّدة عن هذا الإطار من المعنى ..

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن : ٣]

فهذه الآيةُ الكريمةُ هي ضمن سياقٍ قرآنيّ ، يُصوِّرُ حالة الجنّ وموقفَهم من المنهج الجديد (القرآن الكريم) ، حين عِلْمِهم بتروله من عند الله تعالى ..

.. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ تعني : تسامى وتعاظم وعلا هذا المنهجُ الجديدُ الآتي من عند ربّنا ، فربّنا يُنَزِّه نفسَه فيه ، كونه لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ ..

وكلمةُ : ﴿ جُدَدٌ ﴾ في كتاب الله تعالى ، لا تخرج دلالاتها ومعانيها المجرّدة عن دلالات الحدوث اللاحق الطارئ .. ففي الآية الوحيدة في كتاب الله تعالى الحاملة لهذه المفردة القرآنيّة ، نرى أنَّ كلمة ﴿ جُدَدٌ ﴾ ، تُصوِّرُ لنا الحادث الطارئ اللاحق من الجبال ..

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر : ٢٧]

.. وما يجبُ أن نُشيرَ إليه في هذا السياق ، أنَّ الإدراكَ الأفضل لهذه المفردة القرآنيّة ﴿ جُدَدٌ ﴾ ، في هذا السياق القرآني ، يتعلّقُ بدرجةِ إدراكنا لما تعنيه كلمة : ﴿ ٱلْجِبَال ﴾ ، سواءٌ في الصياغة اللغويّة للقرآن الكريم ، أم في الواقع الكوني للمسألة الموصوفة بهذه المفردة القرآنيّة .. فكلمة الجبال تستمدّ دلالاتها من جذرها اللغوي (ج ، ب ، ل) ..

❁ ❁ ❁

الجذر اللغوي (ج ، ب ، ل) تدور دلالاته ضمن إطار وَصْف الجمع الكثيف حيث الأصل الثابت ومركز الثقل ومركز الأمر والدليل .. فالجبل هو أصل الراسي الكثيف الذي يتمّ به التثبيت .. ولذلك فإنَّ الجبال التي أرسى الله تعالى بها الأرض ، تُعطف في كتاب الله تعالى على الأرض ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الحاقة : ١٤]

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ [المزمل : ١٤]

ففي الأرض تُعدُّ الجبال كياناً له هويّته المستقلّة ، على الرغم من أنَّ مادّة الجبال من ذات مادّة الأرض ... ومراكزُ كثافةِ البَرَد في السماء تُوصف بالجبال .. يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور : ٤٣]

فالعبارة القرآنيّة ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ لا تعني جبالاً كجبال الأرض المكوَّنة من الصخور ، إنّما تعني مراكزَ كثافةِ البَرَدِ الموجودة في السماء ، والتي منها يُنزَّلُ البَرَدُ بماهيّته كَبَرَد ..

والجِبِل هو الجمع الكثير والكثيف ..

﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٢]

والجِبِلَّة تعني الأصل الثابت والمركز الذي تجتمع إليه كلّ التفرّعات ..

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨٤]

إذاً .. تفرّعات مشتقّات الجذر (ج ، ب ، ل) تستمدُّ دلالاتها من المعنى المجرّد لهذا الجذر ، وهو : ضمن إطار وَصْف الجمع الكثيف حيث الأصل الثابت ومركز الثقل ومركز الأمر والدليل ، وكلُّ كلمةٍ من تفرّعاته تأخذ من هذا الجذر دلالةً ترتسمُ بمادّة المسألة المحمولة في السياق القرآني المحيط بها .. وهذا ما نراه جليّاً في الآية التالية ..

﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ [إبراهيم : ٤٦]

إنَّ كلمةَ ﴿ ٱلۡجِبَالُ ﴾ هنا تعني مراكزَ تجمّع الدليل وثقلَها والبراهين الراسية الثابتة التي جاء بها الرسل عليهم السلام .. والعبارة القرآنيّة : ﴿ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ ، تعني وإن كان مكرهم الذي مكروه قد فعلوه من أجلِ أنْ تزولَ الحجج والبراهين الثابتة الراسية التي أتى بها رسل الله تعالى ، فهذه العبارة القرآنيّة – بهذه الصياغة – تصوِّرُ لنا هدف مكرهم من المنظار الذي فعله الماكرون ، ولا تصوِّر لنا حقيقةَ فِعْل هذا المكر .. ولو نظرنا في العبارات القرآنيّة السابقة واللاحقة لهذه العبارة القرآنيّة لرأينا صحّةَ ما نذهب إليه ..

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾

[إبراهيم : ٤٤ – ٤٧]

وهكذا نرى كيف أنَّ فهم دلالات الكلمة القرآنيّة في إطار معنى جذرها اللغوي ، يضعنا في مكانٍ أقرب لحقيقةِ دلالاتها ..

❁ ❁ ❁

الجذر اللغوي (ز ، و ، ر) يعني المَيل والانحراف .. فقول الزور هو القول المائل والمنحرف عن الحق ، وشهادة الزور هي الشهادة المائلة والمنحرفة عن الحق ..

﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج : ٣٠]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان : ٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢]

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [المجادلة : ٢]

.. وهذا المعنى للجذر اللغوي (ز ، و ، ر) بمعنى الميل والانحراف ، نراه في كلمة : ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ المتفرّعة عن هذا الجذر اللغوي ..

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾ [الكهف : ١٧]

إنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ هي بمعنى تميل عن كهفهم ذات اليمين .. فدلالات كلمة ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ لا تخرج عن دلالات جذرها اللغوي ..

وكلمة ﴿ زُرۡتُمُ ﴾ في النصِّ التالي تستمدّ – أيضاً – دلالاتها من جذرها اللغوي ..

﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر : ١ – ٢]

إنَّ تحميل كلمة ﴿ زُرۡتُمُ ﴾ دلالاتٍ من مصطلحنا الوضعي ، حيث نقول زار فلانٌ فلاناً بمعنى ذهب إليه ، هذا التحميل لا وجود له في كتاب الله تعالى ، وهو عبارة عن فرض مصطلحنا الوضعي على دلالات كتاب الله تعالى ، بحيث يكون معياراً لكتاب الله تعالى ، في حين أنَّ منهجَ التدبّر السليم هو اعتبار كتاب الله تعالى معياراً لما هو دونه ..

.. اللهو ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ﴾ هو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى ، وبالتالي الإعراض عن غيره ونسيانه .. والتكاثر في هذه الآية الكريمة يشمل كلَّ تكاثرٍ من أموالٍ وأولادٍ وغير ذلك من متاع الدنيا الزائل ، فهو تفاعلٌ عن الكثرة .. وكلمة ﴿ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ بهذه الصياغة على وزن مفاعل لم تأت في كتاب الله تعالى إلاّ في هذه السورة الكريمة ، وهي تعني المواضع المكانيّة الحسّيّة لدفن الموتى ..

وهذه الصورة القرآنيّة هي مطلع سورة تُخاطب الأحياء خطاباً إخباريّاً عن حقيقةِ عملهم الدنيوي وعن حقيقةِ مآلهم في الآخرة بعد أن يخرجوا من الدنيا ..

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ١ – ٨]

.. إذاً قوله تعالى ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ ، يُخاطبُ الأحياء الموجودين في الحياة الدنيا بدليل الآيتين التاليتين لهما مباشرة ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .. وبالتالي يكون معنى الآيتين ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ هو : ألهاكم حرصكم على التكاثر في متاع الدنيا الزائل من أموال وأولاد وغير ذلك ، حتّى ملتم وانحرفتم ونسيتم حقيقةَ ما ستؤولون إليه وهو المقابر .. ولا يمكن أن تحمل كلمة ﴿ زُرْتُمُ ﴾ المعنى الاصطلاحي الوضعي الذي اعتدنا عليه ، فهذا المعنى لا يستقيم – أبداً – مع السياق السابق واللاحق لهذه الكلمة القرآنيّة ..

إذاً .. كلمة ﴿ زُرْتُمُ ﴾ شأنها شأن أيِّ كلمة قرآنيّة تحمل دلالاتٍ لا تخرج عن دلالات جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه .. بل لا تُدرَك دلالاتُها الحقّ إلاّ ضمن إطار دلالات جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

❁ ❁ ❁

الجذر اللغوي (و ، د ، ي) تدور دلالاته ضمن إطارٍ من المعنى هو : المجرى والمنفذ المهيّأ لأن يحصرَ شيئاً ما أو أمراً ما بين حدّيه ، وهذا المعنى نراه جليّاً في الآيتين التاليتين :

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد : ١٧]

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾[الأحقاف: ٢٤]

وفي الآية الكريمة .. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النمل : ١٨] ، نرى أنَّ كلمة ﴿ وَاد ﴾ في العبارة ﴿ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ لا تخرج عن معنى جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

في هذه الآية الكريمة نرى أنَّ سليمان عليه السلام وجنوده كان إتيانهم على واد النمل ، فلماذا وردت كلمة ﴿ عَلَىٰ ﴾ ، وما هو هذا الوادي ؟! ..

.. إنّ كلمة ﴿ عَلَىٰ ﴾ تستخدم لاستعلاء الشيء ، وتستخدم لبلوغ الشيء حتى آخره .. إذاً سليمان عليه السلام وجنوده أتوا فوق هذا الوادي ، إتياناً يشمله حتى آخره ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ يرتبط معناها ارتباطاً كاملاً بدلالات هاتين الكلمتين .. فكلمة وادي تعني – كما قلنا : المجرى والمنفذ الذي يحصرُ شيئاً ما أو أمراً ما بين حدّيه ، بحيث لا يخرج هذا الشيء أو هذا الأمر عن هذين الحدّين .. إذاً العبارة القرآنيّة ﴿ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ تعني الطريق المحصور بين خطّين والذي يسير وفقه النمل ولا يحيد عنه .. ومعلوم أنّ النمل بغريزته التي فطره الله تعالى عليها ، يسير وفق خطوطٍ لا يحيد عنها ..

إذاً .. معنى الصورة القرآنيّة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ أنّ سليمان عليه السلام وجنوده – وهم سائرون – أتوا على طابورٍ من النمل يسير في مجرى بين حدّين لا يحيد عنه ، وفق غريزته التي فطره الله تعالى عليها ، وبالتالي سيمرّ سليمان وجنوده فوق هذا الخطّ إلى آخره .. وهذا التصوير المطلق لا يكون إلاّ بكلمة ﴿ وَاد ﴾ حصراً ، ولا يستقيمُ فهمنا للآية الكريمة إلاّ بإدراك هذه الكلمة ضمن إطار المعنى والدلالات التي يحملها جذرها اللغوي ..

وهذا المعنى نراه – أيضاً – في كلمة ﴿ وَاد ﴾ في الآيات الكريمة التالية ..

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ – ٢٢٧]

إنَّ الآية الكريمة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ التي تصف الشعراء ، تصفهم كشعراء وليس كأشخاص ، بمعنى أنَّها تصفهم وصفاً معنويّاً .. فالآية الكريمة تقول : ألم ترَ أنَّهم في كلِّ مترلقٍ نفسيٍّ ووهميٍّ غير واقعي يهيمون ، لتزيين قولهم بمادة الخيال والمبالغة .. فالدلالات المجرّدة لكلمة ﴿ وَاد ﴾ في هذه الآية الكريمة هي ذاتها في أيّ عبارة قرآنيّة أُخرى ، ولكنَّ السياق القرآنيّ المحيط بهذه الكلمة في النصّ الذي بين أيدينا يتعلّق بمسألة نفسيّة معنويّة ، وبالتالي ترتسم دلالات هذه الكلمة بذلك ، دون أن تتغيّر دلالاتها المجرّدة المستمدّة من جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

ومن مشتقّات الجذر اللغوي (و ، د ، ي) في كتاب الله تعالى ، كلمة [﴿ وَدِيَة ﴾ ، ﴿ فَدِيَة ﴾] في الآية الكريمة التالية ..

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢]

في حين أنَّ كلمة (وادي) على وزن (فاعل) .. نرى أنَّ هذه الكلمة ﴿ وَدِيَة ﴾ ، ﴿ فَدِيَة ﴾ ، هي من مشتقّات هذا الجذر اللغوي على وزن (عِلَة) ، كما هو الحال في كلمة (هِبَة) من الجذر اللغوي (و ، هـ ، ب) ، وكما هو الحال في كلمة (صِفَة) من الجذر اللغوي (و ، ص ، ف) ..

إذاً .. الدِيَة هي حالةٌ تكون منفذاً مُهيّأً لكي يجري به مَن يَقْتُل نفساً في الحالتين المذكورتين في هذه الآية الكريمة ، فتنفذ نفسُه من بين حدّي القصاص في الدنيا ، والعقاب في الآخرة .. فما بين هذين الحدّين تكون الديةُ سبيلاً ينفذ به القاتل المعنيّ في هذه الآية ، كما أنّ السيل يجري في الوادي بين حدّين ، وكما أنَّ النمل يسيرُ في خطّه الغريزي بين حدّين ، وكما أنَّ الشعراء الموصوفين في الآية الكريمة التي رأيناها يهيمون مترلقين بين حدّي كلٍّ مترلقٍ نفسيّ وهمي ..

إنَّ الإدراك السليمَ لأيِّ كلمةٍ قرآنيّة لا يكون إلاّ بإدراك دلالات جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه .. وإنَّ إدراك دلالات الجذر اللغوي يكون من خلال إدراك الكلمات المتفرّعة عنه في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

❁ ❁ ❁

الجذر (أ ، س ، ف) له – في القرآن الكريم – خمسة فروع ..

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ ﴾ [الأعراف : ١٥٠]

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤]

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦]

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه : ٨٦]

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٥]

إنَّ تصوّراتنا الأولى لكلمة ﴿ أَسَفًا ﴾ تتنقّل بين معاني الحزن والغضب والأسى والندم .. فكيف نفهم دلالات كلمة ﴿ ءَاسَفُونَا ﴾ المتعلّقة بالله تعالى في الآية الأخيرة ؟!!! .. وهل يُعقَل أن تخرجَ هذه الكلمة عن إطار المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي ؟!!! ..

إنَّ جميع مشتقّات الجذر (ح ، ز ، ن) في القرآن الكريم تأتي متعلّقةً بالبشر فقط ، و لم تأت متعلّقةً بالذات الإلهيّة .. والحزن كما يصوّره القرآن الكريم يكون نتيجة عملٍ قام به الحزين أو غيره .. أمَّا الأسف فإنّه مسألةٌ ترتبط بالذات الإلهيّة وترتبط بالبشر ، ويكون نتيجةَ عملٍ قام به غير الآسف .. فالحزن مسألةٌ مختلفةٌ عن مسألة الأسف ، ولكلِّ جذرٍ من الجذرين إطاره الخاصُّ به من المعنى ، ولا يمكن لكلمة الحزن أن تنوب عن كلمة الأسف ..

وتفرّعات الجذر (أ ، س ، ي) في القرآن الكريم نراها تتعلّق بالبشر فقط ، و لم تأت متعلّقةً بالذات الإلهيّة .. والأسى كما يصوّره القرآن الكريم يكون نتيجة عملٍ قام به الآسي أو غيره .. لذلك فالأسى لا يمكن أن يكون هو الأسف ، ولا يمكن أن ينوب عنه ، فالأسى والأسف ينتميان لجذرين لغويين مختلفين لكلٍّ منهما إطاره الخاصّ به من المعنى ..

ومشتقّات الجذر (ن ، د ، م) في القرآن الكريم تتعلّق بالبشر فقط ، ولا ترتبط بالذات الإلهيّة ، والندم مسألةٌ لا تكون إلاّ نتيجة عملٍ قام به النادم ذاته .. لذلك فالندم لا يمكن أن يكون هو الأسف ، فلكلِّ جذرٍ من هذين الجذرين حدوده الخاصّة به من المعنى ..

ومشتقّات الجذر (غ ، ض ، ب) في القرآن الكريم ترتبط بالذات الإلهيّة ، وترتبط بالبشر ، ويكون الغضب نتيجة عملٍ قام به غير الغاضب ، وهو بذلك يكون أقرب التصوّرات إلى مسألة الأسف ، ولكنَّ الأسف لا يمكن أن يكون هو الغضب ، وإلاّ لما وردت كلمتان متمايزتان تنتميان لجذرين مختلفين في وصف مسألة واحدة في صورة قرآنيّة واحدة ..

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا ﴾ [الأعراف : ١٥٠]

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه : ٨٦]

فالأسف مسألةٌ مستقلّة لا يمكن لأيٍّ فرعٍ من أيِّ جذرٍ لغويٍّ أن ينوب عنه .. ومن النظر في الفوارق بين مشتقّات الجذور الأُخرى التي تصوّرناها مرادفاتٍ للجذر (أ ، س ، ف) وبين مشتقّات الجذر (أ ، س ، ف) ، نرى أنَّ الأسف يكون نتيجة عدم تحقيق المُراد الذي يريده الآسف من المأسوف عليه ، ونتيجة انقطاع الأمل منه ..

وجميع مشتقّات الجذر (أ ، س ، ف) تدور دلالاتها ضمن هذا الإطار من المعنى والدلالات ، وكلمة ﴿ ءَاسَفُونَا ﴾ لا تخرج عن هذا الإطار .. وبالنظر في السياق المحيط بها ، وفي السياق المحيط بجميع مشتقّات هذا الجذر اللغوي ، تتأكّد معنا هذه الحقيقة ..

❁ ❁ ❁

الجذر (ج ، د ، ر) يوجد له في القرآن الكريم أربعة فروع ..

﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة : ٩٧]

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾ [الكهف : ٧٧]

﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ [الكهف : ٨٢]

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴾ [الحشر : ١٤]

فما علاقة الفرع ﴿ وَأَجْدَر ﴾ في الآية الأولى بالجدار الذي يعني الحائط والحاجز الذي يحول بين الأشياء ؟!!! ..

إنَّ ورود هذا الوصف ﴿ وَأَجْدَر ﴾ مشتقّاً من الجذر (ج ، د ، ر) يصف لنا وبشكلٍ مطلقٍ حقيقةَ الكفر والنفاق الشديدين اللذين يتّصف بهما الأعراب ، بأنّهما عبارة عن جدار (حائط) يحول بينهم وبين أن يعلموا حدودَ ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ..

ولا يمكن لأيِّ كلمة أُخرى تنتمي لجذرٍ آخر أن تُعطي هذا الوصف المطلق الذي تصفه كلمة ﴿ وَأَجْدَر ﴾ في هذه الصورة القرآنيّة .. فكلمة ﴿ أَوْلَى ﴾ – مثلاً – المتفرّعة من الجذر (و ، ل ، ي) تعني القرب والموالاة والأحقيّة ، وهذا بعيدٌ عن المعنى الذي تحمله كلمة ﴿ وَأَجْدَر ﴾ في هذه الصورة القرآنيّة .. ولا يمكن لأيِّ مشتقٍّ من الجذر (ح ، ج ، ز) أن ينوب عن كلمة ﴿ وَأَجْدَر ﴾ في هذه الصورة القرآنيّة .. لقد وردت مشتقّات الجذر (ح ، ج ، ز) في القرآن الكريم مرّتين ..

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ﴾ [النمل : ٦١]

﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٧]

فالجذر (ح ، ج ، ز) كما نرى يعني منع طرفين من الوصول إلى بعضهما ، أو منع طرف من الوصول إلى الآخر ، فلا يكون الحاجز إلاّ بين طرفين ، ولا يمكن للطرف المحجوز أن يتجاوز هذا الحاجز ، وإلاّ لما كان الحاجز حاجزاً .. بينما الجذر (ج ، د ، ر) كما نرى يصف لنا كياناً قائماً بذاته من الممكن الاحتماء خلفه ومن الممكن تجاوزه ..

فالصورة القرآنيّة ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ ﴾ تعني أنَّ الكفرَ والنّفاق بالنسبة للأعراب هما جدارٌ يحول بينهم وبين علْمِ ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ، ومن الممكن تجاوز هذا الجدار بتركهم للكفر والنفاق ..

❁ ❁ ❁

.. للجذر (ص ، د ، ع) في كتاب الله تعالى خمسة فروع ..

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤]

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم : ٤٣]

﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة : ١٩]

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الحشر : ٢١]

﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [الطارق : ١٢ – ١٣]

فما علاقة هذه المشتقّات ببعضها ؟ .. وما هو إطار المعنى والدلالات الذي يحمله الجذر (ص ، د ، ع) في كتاب الله تعالى ؟ .. وهل يخرج عن هذا الإطار المشتق ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾ في الآية ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ والذي جاءَ أمراً للرسول ﷺ ؟ ..

إنَّ تعلّقَ الجذر (ص ، د ، ع) بالشيء أو الأمر يعني شقَّ المتعلّق به وتفرّقه ، فالصدع المتعلّق بالجبل ﴿ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يعني شقّه وتصدّعه ، وكذلك الصدع المرتبط بالأرض ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ ، وكذلك الصدع المرتبط بالبشر في الآخرة ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ والذي يعني تفرّقهم ..

وكذلك الأمر فإنَّ قولَه تعالى ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ يعني عدمَ تفرّقِ الذات وذهابِ العقل ، فخمر الآخرة لا يُشتِّت النفس ولا يشقّ العقل كخمر الدنيا ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة : ١٧ – ١٩]

والفرع ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ لا تخرج دلالاته عن هذا الإطار .. فهذا الأمر ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾ للرسول ﷺ (ومن بعده لكلِّ حامل للواء الدعوة) هو بمعنى : تميَّز بذاتِك مُفرِّقاً بين الحقّ والباطل ، متمثِّلاً ما يأمر الله تعالى به ، مُعرضاً بذلك عن المشركين الذين لا يريدون هذا التفريق .. أي اُقصد بذاتِك ما تُؤمَر به متمثّلاً دين الله تعالى مُفرِّقاً به بين الحقّ والباطل ، مُعرضاً بذلك عمّا يُريده المشركون من خلط الحقِّ بالباطل وعدمِ التفريقِ بينهما ... هذا هو الإطار الذي نفهم به معنى كلمة ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ..

وأقرب الكلمات التي يمكننا تصوّرها مرادفةً لكلمة ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾ هي : أؤمر ، بلّغ ، ..... وهذه الكلمات المتفرّعة عن جذورٍ أُخرى لكلٍّ منها إطاره الخاصّ به من المعنى ، لا يمكنها أن تنوبَ عن كلمة ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، ولا تُعطي المعنى الذي تعطيه هذه الكلمة المتفرّعة من الجذر (ص ، د ، ع) .. فالأمر والتبليغ هو نقل المُراد إلى البشر وإعلامهم به ، أمّا الصدع بأمر الله تعالى فهو التفريق بأمر الله تعالى بين الحقِّ والباطل إظهاراً للحق وبالتالي لدين الله تعالى ..

❁ ❁ ❁

.. الجذر (ن ، هـ ، ر) له في القرآن الكريم ثلاثة محاور ..

١ – محور يأتي متعلّقاً بالأنهار ..

٢ – محور يأتي متعلّقاً بالنهار ..

٣ – محور يأتي متعلّقاً بالنَّهر (بمعنى الزجر) ..

فما هو إطار المعنى الذي يربط هذه المحاور ببعضها وبجذرها اللغوي ؟!!! ..

إنَّ روح المعنى الذي يحمله الجذر (ن ، هـ ، ر) هو بمعنى : حَفَر .. فحتّى في اللغة العربيّة الاصطلاحيّة يُقال : نهرت النهر أي حفرته ، واستنهر النهر إذا أخذ لمجراه موضعاً مكيناً ، والمَنْهَرُ خرقٌ في الحصن نافذٌ يدخل فيه الماء ..

وهذا المعنى المُجَرَّد الذي يحمله الجذر (ن ، هـ ، ر) ينعكس في ماهيّة المسألة التي يصفها أيُّ مُشتقٍّ من مشتقّاته ، فالأنهار – كما نعلم – هي شقوقٌ وحفرٌ في جسم الأرض بمثابة مجاري تجري بها المياه ، وهي بذلك لا تخرج عن المعنى الذي يحمله الجذر (ن ، هـ ، ر) ..

ولمعرفة علاقة النهار – الذي يحمل معنى الضياء – بجذره اللغوي (ن ، هـ ، ر) ، لا بدَّ من معرفة حقيقة النهار ، وكيف يكون النهار كحقيقة كونيّة في هذا الكون ..

إنَّ النهار جزءٌ من الليل الكوني ، فالفراغ الكوني المُحيط بالأرض وبالأجرام السماويّة والذي يفصل بينها هو أسود اللون ، ولا يظهر فيه الضياء (النهار) إلاَّ بوضع جسمٍ مادّيٍّ ضمنه ، فيتحلَّل عُنصرا الليل الكوني إلى نهار يكون على الوجه المُقابل للشمس ، وإلى ظلامٍ على الوجه الآخر .. فهذا الليل الكوني هو عبارةٌ عن مجموع عنصرين هما : النهار ، الظلام .. وبسلخ الظلام من هذا الليل الكوني يكون النهار ، وبسلخ النهار منه يكون الظلام .. وهذا ما نراه جليّاً واضحاً في قوله تعالى ..

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس : ٣٧]

فكلمة ﴿ مِنْهُ ﴾ واضحة جليّة ، ولا يمكن أن تكون بمعنى (عنه) .. فالآية تقول بصريح البيان : إنَّ الليل إذا طُرِحَ منه النهار كان الناتج هو الظلام ..

وما النهار سوى طبقة تُحيطُ بوجه نصف الكرة الأرضيّة المُقابل للشمس ، أمَّا خارج هذه الطبقة فيُوجَد ليلٌ أسود يشمل عنصريه الأساسيّين (النهار + الظلام) ، اللذين لا ينفصلان عن بعضهما إلاَّ بوجود جسمٍ مادّي يتحلّلان عليه ..

وهكذا .. فالنهارُ كُوَّةٌ في جسم الليل ، نُضِحَ منها الظلام فامتلأت ضياءً ، كما أنَّ النهر حُفرةٌ في جسم الأرض نُضح منها التراب والحجارة وامتلأت ماءً .. وهذه الحقيقة ما كُنّا لندركها لولا تطوّر العلوم الفلكيّة ، وما كنّا لنراها لولا الرحلات الفضائيّة ، ولذلك فإدراكنا لعلاقة هذا المشتق (النهار) بجذره اللغوي (ن ، هـــ ، ر) ما كان ليكون لولا إدراكنا لحقيقة المسألة التي يصفها هذا المُشتق ..

من هنا فإنَّ عدم إدراكنا لارتباط بعض المشتقّات بجذورها اللغويّة ناتجٌ عن عدم إدراكنا لماهيّة المسائل التي تصفها وتسمّيها هذه المشتقّات ، وناتجٌ – أيضاً – عن عدم تدبّرنا السليم لكتاب الله تعالى .. وكلما ارتقينا في إدراك ماهيّة المسائل الموصوفة بالكلمات القرآنيّة وفي تدبّرنا لكتاب الله تعالى ، كلّما ارتقينا في إدراك ارتباط الكلمات التي تصفها بجذورها اللغويّة .. ولذلك فعدم إدراكنا لارتباط بعض الكلمات بجذورها اللغويّة ، ليس حجّةً لإنكار ارتباط الفروع بجذورها اللغويّة ..

وروح المعنى للجذر (ن ، هـــ ، ر) الذي رأيناه حين يرتبط بالأرض فيعني شقّاً فيها تجري به المياه ، وحين يرتبط بالليل الكوني فيعني كُوَّةً فيه نُضِحَ منها الظلام فامتلأت ضياءً .. هذا المعنى المُجرّد هو ذاته حين يرتبط بالنفس البشريّة .. فنَهْرُ النفس يعني إحداث شقٍّ فيها يُنضَح منه الأمل والرجاء فيمتلأ بالأسى وعدم الرجاء ..

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء : ٢٣]

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى : ١٠]

فسواءٌ أمل الوالدين بولدهما ، أم أمل السائل بمن يسأله ، هو رجاءٌ في النفس ، وحقٌّ ممزوجٌ بالحياء .. لذلك فردُّ هذا الأمل والرجاء عبر الزجر ، هو شقٌّ وخرقٌ (نَهْرٌ) في النفس ، يُنضَح منه الأمل والرجاء ليمتلئ بالخيبة والأسى وانقطاع الرجاء ... هذا هو العمق الذي يربط المحاور الثلاثة (الأنهار – النهار – نَهَر) للجذر (ن ، هـ ، ر) ببعضها وبجذرها .. فمشتقّات الجذر الواحد هي فروع ترتبط بجذرها وتتغذّى منه ، وتدور في إطار المعنى الذي يحمله هذا الجذر ..

❁ ❁ ❁

إنَّ كلمة ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ في الصورة القرآنيّة : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة : ٧١ – ٧٣] ، هي من مشتقّات الجذر (ق ، و ، ي) .. والقوّة – كما نعلم – هي نقيض الضعف ... وفق الإطار الذي تُصوِّره مشتقّات هذا الجذر ، كيف نفهم كلمة ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ في هذه الصورة القرآنيّة ؟!!! ..

إنَّ القويّ هو الذي يملك قوّةً في ذاته ، والمُقْوِي هو الذي يملك أدوات القوّة ويُسخّرها ليصبح قويّاً .. فكلمة ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ لا تخرج عن إطار المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

وفق هذه الحدود من الدلالات نفهم معنى كلمة ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ .. فالذين يُريدون امتلاك أسباب القوّة لا بُدَّ لهم من تسخير النار بما تعنيه من طاقة بشتّى صورها في أعمالهم وصناعاتهم ، فالنار (الطاقة) سببٌ ووسيلةٌ للذين يريدون التمتّع بالقوّة في هذه الدنيا ، وبالتالي فالنار متاعٌ للمُقْوِين .. هذا هو العمق الذي تحمله كلمة ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ في الصورة القرآنيّة التي رأيناها ، وهو عمقٌ ينبع من دلالات جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

❁ ❁ ❁

نحن نعلم أنَّ مشتقّات الجذر اللغوي (ح ، ي ، ي) في كتاب الله تعالى تصفُ لنا الحياة التي هي نقيض الموت ، سواء كان ذلك في جانب الحياة الجسديّة أم في جانب الحياة الروحيّة التي تعني القربى من الله سبحانه وتعالى ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢٠ – ٢١]

والاستحياء يتعلّقُ بالجانب المعنوي الروحي من مسألة الحياة .. فالاستحياء (حيث اجتماع سين الطلب مع الحياء) هو طلب الحياة المعنويّة نتيجةَ خوفٍ مِمّا يُعاب به ويُذَم ، وذلك انطلاقاً من تغييرٍ وانكسارٍ يعتري الإنسان .. إنّه خجلٌ يتملّك الإنسان نتيجةً لهذا الانكسار ، فيطلب الحياة المعنويّة التي يخرج بها من انكساره هذا ..

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص : ٢٥]

﴿ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

فالاستحياء – بهذا المعنى – لا يمكن أن يأتي وصفاً للذات الإلهيّة .. فالله تعالى لا ينكسر كبرياؤه ، ولا تنقص صفاته العظيمة ، ولا تهون ذاته ..

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : ٢٦]

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

فضرب الأمثال وقول الحق ، لا يصف الذات الإلهيّة بصفة الاستحياء .. وهكذا .. ضمن هذا الإطار من الدلالات ، نستطيع إدراك استحياء النساء في الآية الكريمة التالية وغيرها من الآيات ..

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٩]

إنّ استحياء النساء هنا يعني النيل من عرضهن ، وانكسار كبريائهن ، والانتقاص من كرامتهن .. فكلمة ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ لا تخرج عن إطار المعنى المحيط بجذرها اللغوي ، مع الأخذ بعين الاعتبار سين الطلب الذي تعلّق بها ..

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ استحياء النساء هنا هو إبقاء البنات المولودات على قيد الحياة في الوقت الذي يُذبح فيه الذكور المولودون .. وبذلك نراهم يُخرجون معنى كلمة ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ هنا عن معاني الاستحياء في كتاب الله تعالى ..

وممّا يُثبت أنَّ استحياء النساء في هذه الآية الكريمة وغيرها لا يمكن أن يعني ما ذهبوا إليه ، هو أنَّ استحياء النساء بلاءٌ عظيم نجّا الله تعالى منه بني إسرائيل ، وهذا يتنافى مع إبقاء البنات على قيد الحياة ، فعدمُ ذبحهن هو خير ولا يمكن أن يكون شرّاً ..

﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

واستحياء النساء مسألةٌ مستقلّةٌ من المسائل التي يمنّ الله تعالى بها على بني إسرائيل ، بأنّ نجّاهم من آل فرعون الذين كانوا يستحيون نساءهم ، ودليل ذلك هو واو العطف بين مسألتي ذبح أبنائهم واستحياء نسائهم : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ ﴾ .. فلا يمكن لعاقل أن يتصوّر بأنَّ الشرّ ناتجٌ عن إبقاء البنات على قيد الحياة دون ذبح ، وبالتالي لا يمكنه (نعني العاقل) أن يتصوّر أنَّ الخير هو في ذبحهن ، وأنَّ الله تعالى نجّاهم

من ذلك ، بمعنى أنَّ الله تعالى نجّاهم من حالةٍ كانت بناتهم فيها تُذبح ... إذاً .. استحياء النساء – كما نرى – هو مسألة مستقلّة ببلائها وشرّها ..

ولو كان المقصود بالعبارة القرآنيّة ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ هو إبقاء البنات المولودات على قيد الحياة ، لأتت العبارة القرآنيّة (ويُبقون بناتكم) .. فكلمة البنات هي التي تقابل كلمة البنين ، وليست كلمة النساء هي من تقابل كلمة البنين ..

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٩]

﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ [الصافات : ١٥٣]

﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الطور : ٣٩]

وإن كانت العبارة القرآنيّة ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ تعني إبقاء البنات المولودات على قيد الحياة كما زعموا ، فهذا يعني – بناء على زعمهم – أنّها حشوٌ لا فائدة منه .. فالعبارة القرآنيّة ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ التي تعني ذبح البنين ، تعني أنَّ البنات بقين على قيد الحياة .. فالله تعالى لا يقول : (يُذبِّحون أولادكم) ، حيث الأولاد تشمل البنين والبنات ، إنّما يقول جلّ وعلا ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ خاصّاً بذلك الأولاد الذكور ..

وفي كلمة : ﴿ نِسَآءَكُمْ ﴾ في العبارة القرآنيّة : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ دليلٌ آخر على أنَّ المسألة ليس كما زعموا ، فكلمة ﴿ نِسَآءَكُمْ ﴾ تشمل ساحةً أوسع تضمّ كلَّ الإناث وليس فقط المولودات كما في زُعم ..

وهكذا نرى أنَّ عدمَ إدراك المعنى الذي تحمله الكلمة ضمن إطار المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي ، يؤدّي إلى الابتعاد عن الدلالات الحقّ التي تحملها الكلمة القرآنيّة ..

❁ ❁ ❁

يوجد للجذر (ن ، ف ، ق) في القرآن الكريم ثلاثة محاور رئيسة هي : النَّفَق ، الإنفاق ، النِّفاق ..فما هو رابط الدلالات والمعاني الذي يربطها مع بعضها ، كونها تعود لجذرٍ واحد هو الجذر (ن ، ف ، ق) ؟ ..

يدور المعنى الذي يحمله الجذر (ن ، ف ، ق) داخل إطار الخرق والإنقاص والنَّفاد .. فنفق الشيء يعني خرقه وبالتالي إنقاصه وإذهاب جزء منه ، وعندما تتّصف مسألة بمشتقّ من مشتقّات هذا الجذر ، فإنَّ ذلك يعني أنّها تتّصف بهذه الصفات ..

إنَّ النَّفق هو خرقٌ في الأرض له مخلص إلى مكانٍ آخر ..

﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ ﴾ [الأنعام : ٣٥]

وهذه الحقيقة تُلقي الآية الكريمة التالية الضوء عليها من جانبٍ آخر ..

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧]

والإنفاق لا يخرج عن هذا الإطار من المعنى ، فهو يعني تقليل الشيء وإذهابه ، وكأنَّ خرقاً قد حصل فيه يُنقصه وَيُنفدُه ..

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠]

والنِّفاق لا يخرج – أيضاً – عن هذا الإطار من المعنى ، فهو خرقٌ في العقيدة يُذهبها ، ويلوذ به كُفْرُ المنافق ليُظهر خارجه إيماناً كاذباً ، فهو بذلك يُخفي كُفْرَه في هذا النفق ويُظهر إيماناً كاذباً خارجه .. فهذا النَّفق الكائن في عقيدته هو خرقٌ ومخلصٌ بين وجهي الكفر والإيمان ، فعقيدة المنافق كائنة في ساحة الكفر ، ويُظهر أمام الناس إيماناً كاذباً ، ويُوجِد بين هذين الوجهين نفقاً يتنقّل من خلاله بين هاتين الساحتين متى شاء ..

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر : ١١]

وهكذا نرى أنَّ مشتقّات الجذر (ن ، ف ، ق) بجميع فروعها ، إذا ارتبطت بشيء فإنّها تعني خرقاً في هذا الشيء .. فعندما ترتبط بالأرض تصف لنا نفقاً ماديّاً ، وعندما ترتبط بالمال تصف لنا نفقاً في هذا المال يُنقصه ويُنفده ، وعندما ترتبط بعقيدة الإنسان تصف نفقاً بين وجهين متناقضين هما الكفر والإيمان ..

❁ ❁ ❁

مشتقّات الجذر (و ، ز ، ر) في القرآن الكريم ترتبط بالحمل الثقيل والذنب والإثم ..

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥]

والوزير يحمل الثقل والعبء عن الذي هو وزيرٌ له ، فهو يزر عنه أثقال ما أُسند إليه من تدبير ، ويُلتجأ إليه عن طريق تحميله جزءاً من الحمل ..

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ [طه : ٢٩ – ٣١]

هذا هو الإطار الذي تدور داخله معاني مشتقّات الجذر (و ، ز ، ر) في القرآن الكريم .. لذلك في الآية الكريمة ..

﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٠ – ١٣]

نرى أنَّ منهجيّة البحث السليم تجعلنا نتصوّر كلمة ﴿ وَزَرَ ﴾ ضمن إطار المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي ، ففي ذلك الوقت الذي يقول فيه الإنسان ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ ، أي عند انقضاء الدنيا ، لا أحمال ولا آثام تُرتكب آنذاك .. فالآثام والذنوب التي يرتكبها الإنسان في حياته الدنيا ، فارّاً بها ومبتعداً عن أوامر الله تعالى ومنهجه ، لم تعد تُرتكب ، لأنَّ الدنيا – دار الامتحان – تكون قد انقضت ، وكذلك الأمر بالنسبة لكلِّ الأحمال والأعباء التي كانت تتحمّلها البشريّة في حياتها الدنيا نتيجة امتحانها في هذه الدار ..

ولا تُوجد كلمة يمكنها أن تنوب عن كلمة ﴿ وَزَرَ ﴾ ضمن سياق هذا النصّ القرآني .. إنّ أقرب كلمة من الممكن تصوّرها بأنّها تنوب عنها هي كلمة ﴿ مَلْجَأً ﴾ .. لقد ورد للجذر اللغوي (ل ، ج ، أ) في القرآن الكريم ثلاثة فروع ..

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٥٧]

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة : ١١٨]

﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى : ٤٧]

فمشتقّات الجذر (ل ، ج ، أ) ، كما نرى ، أتت جميعها اسماً هو كلمة ﴿ مَلْجَأً ﴾ ، ويدور هذا المشتقّ ضمن إطار الاحتماء بشيء بعد اليقين أنَّ المُحتَمِي قد أُحيط به .. بينما مشتقّات الجذر (و ، ز ، ر) – كما رأينا – تعني حمل الثقل والعبء والإقبال على حمل الإثم ، ولا تعني الهروب من شيء ، كما هو الحال في مشتقّات الجذر (ل ، ج ، أ) ..

وهكذا نرى أنَّ كلمة ﴿ وَزَرَ ﴾ في السياق القرآني ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ، لا تخرج عن إطار المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ..

❁ ❁ ❁

دلالات الجذر اللغوي (د ، ل ، و) في القرآن الكريم تدور في إطار الهبوط والنزول من حالٍ إلى حال .. وهذا ما نراه جليّاً في قولِه تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٨ – ١٠] ..

ففي المعراج الروحي بالنسبة للنبيّ ﷺ ، دنا جبريل عليه السلام ونزل إلى أُفق الملائكيّة الأقرب إلى البشريّة ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ ، وسمت نفس الرسول ﷺ إلى المستوى الروحي الموازي للملائكيّة ، ممّا جعل بينهما حالةً من القرب الروحي ، لم يفصل بينهما إلاّ حقيقتيهما ، بل أصبحا أقرب إلى بعضهما حتى من هذا القرب ، لتداخل الروح بينهما ، وهذا ما نقرؤه في قولِه تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ..

وفي تلك الحالة حصل الوحي المباشر من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ ، فالرسول ﷺ بعروجه الروحيِّ هذا سمى إلى درجة استقبال الوحي المباشر من الله تعالى دون رسولٍ وسيط (دون جبريل عليه السلام) ..

وهذا المعنى للجذر (د ، ل ، و) نراه جليّا في الآية الكريمة ..

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف : ١٩]

ونراه أيضاً في الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨]

.. بناءً على هذا الإطار من الدلالات نفهم دلالة الكلمة ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ ﴾ [الأعراف : ٢٢] ..

وهكذا يكون معنى هذه الصورة القرآنيّة هو : بواسطة الغرور ﴿ بِغُرُورٍ ۚ ﴾ ، هبط الشيطانُ بآدم عليه السلام وزوجه إلى مستوى المعصية ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ ﴾ ، وبالتالي ذاقا الشجرة وهبطا كقيمة جسديّة ، كما بيّنا في كتاب قصّة الوجود ..

وهذه الدلالات لكلمة ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ المتفرّعة من الجذر (د ، ل ، و) ، تختلف كثيراً عن الدلالات التي يحملها الجذر (د ، ل ، ل) ، كما في كلمة ﴿ أَدُلُّكَ ﴾ في ذات القصّة : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ .. فالفارق بين التعريف بالشيء كما في دلالات كلمة ﴿ أَدُلُّكَ ﴾ ، وبين الهبوط والنزول كما في دلالات كلمة ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ ، هو فارقٌ كبيرٌ ، ما كان لنا أن نُدركه لولا ربط الكلمات بجذورها اللغوية المتفرّعة عنها ..

❁ ❁ ❁

من مشتقّات الجذر (ق ، س ، ط) في القرآن الكريم كلمتا : [﴿ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ، ﴿ ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾] ، وقد وَصفت هاتان الكلمتان مسألتين متناقضتين تماماً ..

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢]

﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩]

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨]

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٤ – ١٥]

والمسألة نفسها نجدها في كلمة ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ من الجذر اللغوي (ع ، د ، ل) ، حيث تأتي في القرآن الكريم متعلّقةً بحال المؤمنين والكافرين ..

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١]

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٠]

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٩]

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨١]

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠]

.. فكيف يكون ذلك ؟!!! ..

.. تدور دلالات الجذر (ق ، س ، ط) في إطار معنى إعطاء الشيء حقّه ، وقياس الأمور في ميزان واحد لا يميل على طرفٍ من الطرفين ..

﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [الأنعام : ١٥٢]

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥٤]

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [الأنبياء : ٤٧]

والقسطاس المستقيم هو أقوم الميازين التي تُعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه ، فلا يأخذ طرفٌ من حقِّ طرفٍ آخر ..

﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء : ٣٥]

فالقسطاس الذي يأمرنا الله تعالى أن نزن به ، هو تعادل كفتي الميزان تعادلاً تامّاً ..

وكلمة ﴿ ٱلْقَسِطُونَ ﴾ ، هي من الفعل (قسطَ) .. وهي تعني الذين لا يزنون الأمور بينهم وبين الآخرين بالقسطاس ولا يريدون ذلك ، فحينما يزنون الأمور بينهم وبين الآخرين يُرجِّحون – دائماً – كفّتهم على كفّةِ غيرهم ظلماً وعدواناً .. وهم بذلك يتّصفون بصفة المُطفِّفين : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين : ١ – ٣]

أمّا كلمة ﴿ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ، فهي من الفعل المتعدّي (أقسطَ) ، حيث التعدّي يقلب المعنى إلى النقيض .. وهذا بيّن في كتاب الله تعالى ، فكلمة ﴿ ٱلْأَعْرَابُ ﴾ هي من الجذر (ع ، ر ، ب) ولكنّها من الفعل المتعدّي (أعربَ) الذي يقلب المعنى إلى النقيض .. وَقَلْبُ المعنى للنقيض نتيجة التعدّي نراه جليّاً بين الفعل ﴿ عَرَضَ ﴾ ، والفعل ﴿ أَعْرَضَ ﴾ .. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤]

.. إذاً .. المُقسطُون هم الذين يزنون الأمور بينهم وبين الآخرين بحيث تكون كفّتهم إمّا متعادلة مع كفّة غيرهم ، وإمّا يُرجّحون كفّة غيرهم على حساب كفّتهم ، مخافة من الله تعالى .. وإذا حكموا بين الناس يحكمون بالقسط بحيث يأخذ كلّ ذي حقٍّ حقَّه ..

هذا التقابل بين كلمة ﴿ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ من جهة ، وبين كلمة ﴿ ٱلْقَسِطُونَ ﴾ وكلمة ﴿ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ من جهةٍ أُخرى ، نراه في مجموع ورودهما في كتاب الله تعالى ..

فكلمة ﴿ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ترد ثلاث مرّات ، وكلمتا [[﴿ ٱلْقَسِطُونَ ﴾ (مرّتين) ، ﴿ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ (مرّة واحدة)]] تردان ثلاث مرّات أيضاً ..

إذاً هاتان الكلمتان : ﴿ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ، ﴿ ٱلْقَسِطُونَ ﴾ لم تخرجا عن إطار معنى جذرهما اللغوي ، الذي يعني قياس الشيء على القسطاس الذي يعطي لكلّ ذي حقٍّ حقَّه .. فالمقسطون يكون قياسهم بحيث تكون الأمور إمّا عدلاً تامّاً وإمّا لصالح غيرهم خشيةً من الله تعالى ، والقاسطون يقيسونها بحيث تكون دائماً لصالحهم على حساب غيرهم ظلماً وعدواناً ..

أمّا الجذر (ع ، د ، ل) فتدور مشتقّاته ضمن إطار تسوية الأمور وموازنتها وتقويمها على هيئة متوازنة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ – ٨]

والعدل هو إعادة الأمور إلى سويّتها .. لذلك فالفدية هي عدل ، لأنّها محاولة لإعادة الأمور إلى سويّتها ..

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام : ٧٠]

والاعتدال هو التوسّط بين حالين في كمٍّ أو كيف .. والعدل بين الزوجات هو إقامةُ توازنٍ في العلاقة بينهن ، بحيث لا يتمُّ الميلُ باتّجاهٍ دون الآخر ، لذلك نرى أنَّ عظمة البيان الإلهي تصف علاقة الرجل مع زوجاته بصيغة العدل وليس بصيغة القسط .. ولمّا كانت عاطفة الرجل لا يستطيع توزيعها بشكلٍ متوازنٍ بين زوجاته ، كونها ليست مسألةً ماديّة تُقاس بموازيين المادّة ، فإنّه لا يستطيع العدلَ التامّ بينهنّ مهما حرص ..

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء : ١٢٩]

أمّا علاقة وليّ أمر اليتيم مع اليتيم ، يصفها الله تعالى بصيغة القسط ، لأنّها ليست علاقة موازنة شيء على شيء آخر ، إنّما هي عمليّة قياس في ميزان واحد لا علاقة لغير اليتيم به ..

﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾ [النساء : ١٢٧]

وهكذا نرى أنَّ التعديل بالشيء يعني القياس عليه وإرجاع الأمور إليه ، فنحن عندما نعدل بالخير فهذا يعني أنّنا عملنا خيراً ، لأنّنا نكون قد قسنا الأمور على الخير وأرجعناها إليه .. وعندما نعدل بالشرّ فهذا يعني أنّنا عملنا شرّاً ، لأنّنا نكون قد قسنا الأمور على الشرّ وأرجعناها إليه ..

لذلك نرى أنَّ كلمة ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ في الآيات الكريمة ترتبط بالمسألة التي تُقاس عليها الأمور .. فقوله تعالى ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] ، يعني أنَّهم يقيسون الذات الإلهيّة بمقاييسهم ، ويرجعونها إلى هذه المقاييس .. وقوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨١] ، يعني أنّهم يقيسون الأمور على منهج الحق الذي يأمر الله تعالى به ، ويرجعونها إلى هذا المنهج ..

وهكذا نرى أنَّ مشتقّات الجذر (ق ، س ، ط) ومشتقّات الجذر (ع ، د ، ل) ، كلٌّ منها تدور في إطار المعنى والدلالات للجذر اللغوي الذي تنتمي إليه ، ونرى أنَّ لكلٍّ من الجذرين ماهيّته التي تميّزه ، فلا يمكن لأحدهما أن يُلغي الآخر أو أن ينوب عنه .. وتتجلّى هذه الحقيقة في الصورة القرآنيّة التالية : ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .. فالإصلاح بالعدل يعني قياس الأمور بينهما بحيث لا يميل طرف على آخر فيظلمه .. والقسط هو الميزان الحق المجرّد عنهما ، والذي يجب اتّباعه في هذا الإصلاح ..

❁ ❁ ❁

في سورة الكهف ، وفي قصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، وفي مسألة أهـــل القرية التي بنى العبد الصالح فيها جداراً ، نرى في بداية النصّ القرآني المصوّر لهذه القصّة ، نرى كلمة ﴿ قَرْيَةٍ ﴾ ..

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف : ٧٧]

وفي سياق النصّ المُصوِّر لهذه القصّة نرى ورود كلمة ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ..

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٨٢]

فما الحكمة من ذلك ؟!!! ..

بالعودة إلى مشتقّات الجذر (م ، د ، ن) في القرآن الكريم وكذلك مشتقّات الجذر (ق ، ر ، ي) ، نرى ما يلي :

١ – وردت كلمة ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ في القرآن الكريم (١٤) مرّة ، جاءت فيها جميعاً معرّفةً بأل التعريف ، ووردت كلمة القرية (٣٣) مرّة ، جاءت فيها معرّفة بأل التعريف ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ وغير معرّفة ﴿ قَرْيَةٍ ﴾ ..

٢ – لم تأت كلمة ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ مضافة ولا مرّة في كتاب الله تعالى .. بينما وردت القرية مضافة : ﴿ قَرْيَتِكَ ﴾ ، ﴿ قَرْيَتِكُمُ ﴾ ، ﴿ قَرْيَتِنَآ ﴾ ..

٣ – خُوطبت القرية في القرآن الكريم كذات تؤمن وتُسأل وتملك القوّة وتهلك وتفسد وتعتو عن أمر ربّها ، وبالتالي خُوطبت خطاب العقلاء .. ولم تُخاطب المدينة بذلك الخطاب ..

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [يونس : ٩٨]

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ ﴾ [يوسف : ٨٢]

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج : ٤٨]

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل : ٣٤]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الطلاق : ٨]

٤ – كلمة ﴿ أَهْلُ ﴾ تأتي مضافة للقرية ، وتأتي مضافة للمدينة ..

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الحجر : ٦٧]

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ ﴾ [العنكبوت : ٣١]

ممّا سبق نرى أنَّ المدينة ترد صفةً للجانب المادّي الحضاري للتجمعّات البشريّة ، فهذه الصفة ظاهرة ومُشاهدة وبالتالي معروفة ، لذلك رأينا أنّ ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ تأتي دائماً معرّفة بأل التعريف ، ولم تأت نكرة ولا مرّة .. أمّا ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ فترد صفةً لجميع النشاطات البشريّة الفكريّة والعقائديّة ، تلك النشاطات التي منها الظاهر ومنها المخفي ، ولذلك رأينا

أنّها تأتي مُعرّفة ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ وتأتي غير معرّفة ﴿ قَرْيَةٍ ﴾ ، ورأيناها تُضاف ، وتُخاطَب كذات عاقلة تؤمن وتظلم وَ .....

وهكذا نرى أنَّ ورود كلمتي القرية والمدينة في قصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح يأتي بشكلٍ مُطلقٍ يوافق موافقةً مطلقة الموقف المناسب في كلّ حالة .. فطلب الطعام يتعلّق بالجانب البشري من كرمٍ وغيره ، وهذا تُناسبه كلمة قرية ، بينما بناء الجدار يتعلّق بالجانب المادّي الحضاري ، وهذا تناسبه كلمة المدينة ..

ومن جهةٍ أخرى فإنَّ هذين الغلامين صاحبي الجدار ينتميان إلى هذا التجمّع البشري انتماءً ماديّاً فقط ، بمعنى يأكلون ويشربون ويعيشون في هذا التجمّع البشري ، فهما ينتميان إلى هذا التجمّع انتماءً يتعلّق بصفة المدينة التي تصفه ، ولذلك نرى الوصف ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ .. وهذان الغلامان لا ينتميان إلى هذا التجمّع انتماءَ معتقد وفكر وأخلاق وقيم .. لذلك لم يتعلّقا بهذا التجمّع تعلقاً من زاوية وصفه بصفة القرية ..

❁ ❁ ❁

مشتقّات الجذر (ع ، ج ، ل) في القرآن الكريم ترد بصيغٍ تدلّ على السرعة (نقيض البطء) ، فالاستعجال هو الاستحثاث وطلب العجلة ، والعاجل والعاجلة نقيض الآجل والآجلة ، وعجلت الشيء إذا استبقته ..

ضمن هذا الإطار الذي تدور فيه مشتقّات الجذر (ع ، ج ، ل) في القرآن الكريم ، ما علاقة المعنيّ بكلمة ﴿ ٱلْعِجْلَ ﴾ الذي هو من مشتقّات الجذر (ع ، ج ، ل) بإطار المعنى الذي يحمله هذا الجذر اللغوي ؟!!! ..

هذه هي الصور القرآنيّة التي ترد فيها كلمة ﴿ ٱلْعِجْلَ ﴾ ..

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥١]

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ [البقرة : ٥٤]

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٩٢]

﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ٩٣]

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ [النساء : ١٥٣]

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٨]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [الأعراف : ١٥٢]

﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ ﴾ [طه : ٨٨]

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود : ٦٩]

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ [الذاريات : ٢٦]

إنَّ ارتباط هذه الكلمة ﴿ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ كمشتقّ من مشتقّات الجذر (ع ، ج ، ل) بدلالات هذا الجذر وبباقي الفروع المتفرّعة عنه ، هو ارتباطٌ مُطلَق ، ولإدراك — ما نستطيع إدراكه — من هذه الحقيقة لا بدَّ من النظر في جميع النصوص القرآنيّة التي ترد فيها كلمة ﴿ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ ، وبذلك سنرى أنَّ هذه الكلمة ترتبط بحدثين فقط :

١ — العجل الذي جاء به إبراهيم عليه السلام كطعامٍ لضيوفه الملائكة ..

٢ — العجل الذي اتّخذه بنو إسرائيل إلهاً ، وهو العجل الذي أخرجه السامريّ لهم ..

وفي هذين الحدثين نرى أنَّ استباق الأمر ، وطلب العجلة والسرعة قد حصل .. فإبراهيم عليه السلام جاء بالعجل كطعامٍ لضيوفه على وجهٍ من السرعة ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن

﴿ جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ ، وقبل أن يسألهم إن كانوا يريدون طعاماً أم لا .. والقرآن الكريم يُبيّن ذلك بشكلٍ جليٍّ ..

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود : ٦٩]

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٥ – ٢٨]

فسواءٌ العبارة القرآنيّة ﴿ فَمَا لَبِثَ ﴾ في الصورة الأولى ، أم الفاءات التي تتالت في الصورة الثانية [﴿ فَرَاغَ ﴾ ، ﴿ فَجَآءَ ﴾ ، ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ ﴾ ، ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾] ، جميعها تُشير إلى السرعة وعدم التمهّل .. وكلُّ ذلك يُؤكّد أنَّ العجل الذي جاء به إبراهيم عليه السلام لضيوفه هو طعامٌ أعدّه بسرعة ودون تمهّل وقبل أن يسأل ضيوفه ..

وكذلك قوم موسى عليه السلام اتّخذوا العجل الذي أخرجه السامريّ لهم ، نتيجة استعجالهم لأمر ربّهم ، وقد عرفوا أنَّهم استعجلوا أمر ربّهم وأنَّهم قد ضلّوا ..

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ ﴾ [الأعراف : ١٤٩ – ١٥٠]

وحتى موسى عليه السلام تفاعل مع ما يحيط بهذه المسألة على درجة من العجلة والسرعة ..

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه : ٨٣ – ٨٥]

وحتى مسألة إخراج العجل من حليّهم ، تمّت على درجة كبيرة من العجلة ..

﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه : ٨٧ – ٨٨]

إنَّ تتابع الفاءات في هذه الصورة القرآنيّة [﴿ فَقَذَفۡنَٰهَا ﴾ ، ﴿ فَكَذَٰلِكَ ﴾ ، ﴿ فَأَخۡرَجَ ﴾ ، ﴿ فَقَالُواْ ﴾ ، ﴿ فَنَسِيَ ﴾] يُبيّنُ السرعة وعدم التريث والاستعجال في هذا الأمر ..

وهكذا نرى أنَّ وَصْفَ العجل الوارد في القرآن الكريم بكلمة من مشتقّات الجذر (ع ، ج ، ل) هو وصفٌ مطلق ، يرتبط ارتباطاً مطلقاً بحيثيّات المواقف التي تحيط بهذه المسألة .. فكلمة العجل كوصف للمسألتين المذكورتين لم تخرج عن المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي ..

❁ ❁ ❁

ورد للجذر (م ، هـ ، ل) في القرآن الكريم ستة فروع ..

﴿ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ ﴾ [الكهف : ٢٩]

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴾ [الدخان : ٤٣ – ٤٥]

﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴾ [المعارج : ٨]

﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ [المزمل : ١١]

﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٧]

فما علاقة هذه المشتقّات ببعضها بعضاً ، وبجذرها اللغوي الذي تفرّعت عنه ؟ ..

إنّنا نرى أنَّ مشتقّات الجذر (م ، هـ ، ل) في القرآن الكريم ترتبط بالكافرين والآثمين والمكذّبين ، وتأتي وصفاً لشرابهم وطعامهم يوم القيامة ، وتأتي وصفاً للسماء عند قيام الساعة .. وفي ذلك كلّه ابتعادٌ عن منهج الله تعالى ، وعن القوانين الطبيعيّة التي تحكم الكون في عالم الدنيا إلى نقيض ذلك ..

إنَّ ارتباط مشتقّات الجذر (م ، هـ ، ل) بالكافرين والمكذّبين والآثمين نراه يرسم لنا صورة تركهم – بعد تبليغهم منهج الله تعالى – يبتعدون عن منهج الحق ، وصورة تخبّطهم في ظلمات الضلال دون معيار ، وصورة فقدانهم لطريق السلامة .. فإمهالهم يعني إنظارهم وتركهم يفقدون الثواب المرتبط باتّباعهم لمنهج الله تعالى ، وينالون العقاب المرتبط بترك هذا المنهج ..

وارتباط مشتقّات هذا الجذر بشراب هؤلاء وطعامهم في الآخرة ، يعني فقدان الشراب والطعام للصفات الحسنة السليمة ، وابتعادهما عن كلِّ الصفات التي نعرفها عن الطعام ، فقيح أهل النار وصديدهم ، وشجرة الزقّوم ، اللذان يشويان الوجوه ويغليان في البطون ، ليسا طعاماً وشراباً يتّصفان بصفات الطعام والشراب الحسنة التي نعرفها ..

وارتباط مشتقّ من مشتقّات هذا الجذر اللغوي بالسماء عند قيام الساعة ، يعني فقدان السماء للقوانين الكونيّة الناظمة لحركة مكوّناتها والتي كانت تحكمها قبل ذلك ، والتي كانت سبباً في عدم فسادها ، وفي بقائها متوازنة غير مختلة ..

وهكذا نرى أنَّ الإطار المحيط بجميع مشتقّات الجذر (م ، هـ ، ل) في القرآن الكريم ، يعني أنَّ المسألة الموصوفة بمشتقٍّ من هذه المشتقّات ، قد تركت القوانين الطبيعيّة الخيّرة الحسنة ، واتّجهت باتّجاه نقيض ذلك ، وما يترتّب على ذلك من سوء ..

❁ ❁ ❁

يرد للجذر (و ، ر ، د) في القرآن الكريم (١١) مشتقّاً .. ولا بدَّ أنَّ جميع هذه المشتقّات تحمل دلالاتٍ من داخل إطار الدلالات التي يحملها هذا الجذر اللغوي ..

وردَ الشيء يعني أتاه وحضر إليه ..

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص: ٢٣]

وأورده الشيء أذهبه إليه وأحضره ..

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود : ٩٨]

والمورد هو المنهل .. ومورد الماء هو منهل الماء الذي يُؤتى إليه .. وبالتالي فالوارد هو الذي يرد الماء لجلبه ..

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ ﴾ [يوسف : ١٩]

من خلال هذا الإطار الذي ترسمه لنا مشتقّات الجذر (و ، ر ، د) في القرآن الكريم ، كيف نتصوَّر معنى المشتق ﴿ وَرْدَةً ﴾ في الآية الكريمة ، وهل يخرج – هذا المشتق – عن دلالات جذره اللغوي ؟ ..

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٧]

لقد رأينا أنَّ تشبيه السماء بالمهل هو وصفٌ للسماء عند الساعة ، يُبيّن حالها عندما تفقد قوانين اتّزانها المسخّرة لها من الله تعالى ، وبالتالي اتّجاهها باتّجاه الفساد والزوال .. وهذه الصفة ﴿ وَرْدَةً ﴾ للسماء وقتئذٍ هي وصفٌ آخر يُبيّن حقيقتها – آنذاك – من زاوية بنيتها وانهيار بنائها المُحكم وتغيُّر حالها ..

إنَّ هذه السماء التي لا نرى فيها فطوراً ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك : ٣] ، والتي

نراها مبنيّة بناء محكماً ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [البقرة : ٢٢] ، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ [ق : ٦] ، وبالتالي لا يمكن شقّ بنائها وخرقه وورودها ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣ – ٣٥]

..... هذه السماء التي لا نستطيع ورودها والنفاذ من أقطارها ، بسبب بنائها المحكم الذي لا فطور فيه ولا أبواب لكي نردها وننفذ من أقطارها ، ستُطوى عند الساعة كطيِّ السجل للكتب ، لتعود إلى خلقها الأوّل ..

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]

وستكون أبواباً وسبلاً وطرقاً لم تكن من قبل ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ [النبأ : ١٩] ، فهي وقتئذٍ في طريقها إلى الزوال ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ [التكوير: ١١] ... هذا البناء المحكم الذي لا شقّ فيه ولا باب ، وبالتالي لا يمكن وروده والنفاذ منه ، سينهار عند الساعة ويزول ، وبالتالي ستكون السماء أبواباً تُرَدُ من كلِّ صوب ..... هذا هو الإطار الذي تحمله لنا كلمة ﴿ وَرْدَةً ﴾ مشتقّةً من الجذر (و ، ر ، د) ، كصفة للسماء عند الساعة ..

وكلمة ﴿ وَرْدَةً ﴾ في الآية الكريمة نراها مسبوقةً بكلمة فكانت ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ ، وبالتالي هي وصفٌ مطلقٌ لكينونة السماء وقتئذٍ ، وليست وصفاً لمسألةٍ أُخرى يُشبِّه الله تعالى بها السماء .. أمَّا كلمة ﴿ كَٱلدِّهَانِ ﴾ ، فنراها مسبوقةً بحرف

التشبيه الكاف ، ولذلك فهي تصف مسألةً أُخرى من مشتقّات الجذر (د ، هـــ ، ن) يُشبِّه الله تعالى بها السماء ..

إنَّ القرآن الكريم بحرفيّته هو قول الله تعالى ، وبالتالي فالحروف والكلمات هي من الله تعالى ، وبالتالي فإنَّ الوصف مطلق ، وعلاقة الكلمة بجذرها اللغوي هي علاقة الفرع بأصله ..